طرائف لغوية

مقتبسة من سيرة «السيد رشيد رضا»
تأليف عضو مجمعنا العلمي الامير شكيب
أرسلان ، وفي هذا الجزء من المجلة
بيان وتقريظ لهذه السيرة الجليلة .

يقول أمير البيان في حاشية الصفحة ٣٤٦ من هذا الكتاب ما نصه :

« كنت دائماً إذا وجدت في كلام السيد لفظة لا أجد لها أصلا في اللغة أعترض عليه فيها ، وأسأله عن الوجه الذي عنده في هذه اللفظة ، وكان هو يفعل معي كذلك ، وسنورد جل ما وقع بيننا من المطارحات اللغوية لأن فيها فوائد لطلاب العربية . »

جاء في رسالة للسيد رشيد رضا رحمه الله ص ٣٤٤ ما نصه :

(الدعاية) وردت في كتاب النبي (ص) إلى هرقل قال : « أدعوك بدعاية الإسلام » كما في كتاب « بدء الوحي » من أول صحيح البخاري ، وهي كالدعوة الكثيرة الاستعمال في كل ما يدعى اليه ، فأحببت استعمال الكلمة الطريفة في الدعوة الخاصة بالمذاهب العامة من سياسية ودينية ، وانبعني بها كثير من الكتاب (١) .

وجاء في رسالة أخرى للسيد رشيد ص ٦٩٥ ما نصه :

« سألتني في كتاب سابق عن كلمة دعاية وقد خطرت في بالي الآن فذكرتها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هنا بغير مناسبة لئلا أنساها بعد كما نسيتها من قبل فأقول : انها وردت في أصح الروايات في كتب النبي (ص) إلى الملوك كما تراه في البخاري وغيره ، وأنا الذي روّجتها في الاستعمال ، نهي من شواهد حجتك على الذين ينكرون كل ما لم يرد في كتب المعاجم المتداولة ، ونقل رواة الصحاح من الحديث أوثق من رواة اللغة ، وقد ورد دعاوة بالفتح في دعوة النسب وقلب الواو في الكسر ياء لمناسبة الكسرة ، وهذا القلب جائز لا واجب كما ورد في القوام والقيام » .

وجاء في رسالة أخرى للسيد ص ٦٦٨ ما نصه :

« وأما المنتقد اللغوي فقد ذهب به الادلال بنظرياته إلى الجرأة على ما نقول في الحديث النبوي ، فلفظ الدعاية ثابت في رواية البخاري وفي أصح الروايات ، وهو مقيس ومثله الشكاية من شكا يشكو ، وهو أيضاً منقول في لسان العرب ومستدرك الزبيدي على القاموس (٢) ... هذا وإنني لم أذكر لك أن لفظ الدعاوة قد ورد في اللغة إلا لبيان أن كون أصل المادة واوية لا يمنع قلب الواو ياء لمناسبة كسر أول الكلمة ، وجملة القول أن لفظة الدعاية وردت بأصح الروايات وهي مقيسة . »

وعلق مؤلف هذه السيرة الرشيدية الامير شكيب أرسلان على الرقم (١) من الشذرة الأولى ما نصه :

« نعم قد صار هذا الاستعمال تماماً في معنى ما يسميه الافرنج (بروباغندا) وقد سألت السيد رشيداً عن مصدرها فأجابني بهذا الجواب ، وسألت غيره من علماء الحديث مثل الاستاذ تقي الدين الهلالي المغربي السجلماسي فأيد كلام السيد رشيد ، وقد جاء في لسان العرب خبر هذا الكتاب من النبي عليه السلام إلى هرقل : « أدعوك بدعاية الإسلام » أي بدعوته ؛ ولكنه قال بعدها : وفي رواية « بداعية الإسلام » وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة ، واقتصر صاحب المصباح على الدعاوة ، ولهذا تمسك بعضهم بأن دعاية قد تكون خطأ نسخ ، وأن أصلها الدعاوة لا يجوز غيرها ، وعللوا ذلك بأن الفعل واوي ، وأن الدعاية بالياء ، والحقيقة أن نسخ البخاري لا تعد ولا تحصى ، فلو كانت الدعاية من خطأ النسخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لكان العلماء أصلحوها ، ومن المعلوم أن علماء اللغة في المحدثين كحصى البطحاء ، فليس السيد رشيد رضا وحده بالذي روى ذلك ؛ وأما كون الفعل واويا قد يمنع من انقلاب الواو ياء ، ولذلك أمثال كثيرة ، جاء في لسان العرب : سنت السانية تسنو سنواً إذا استقت ، وسنابة وسناوة ، وهو في صيّابة قومه وصوابة قومه ، والنقاوة والنقابة من كل شيء ، والنفاوة والنفابة من كل شيء ، وهي النفية والنفوة ، وداهية دهواء ودهياء ، وله غنم قنوة وقنية وقنوان وقنيان ، وأهل العالية يقولون القصوى وأهل نجد يقولون القصيا ، وأتوت به أتاوة وإتاية ، ورغاية اللبن ورغاوته ، وجبابة الخراج وجباوته وهو بلو سفر وبلي سفر وهلم جرّا مما لا يحصى .

وجاء في التعليقة الارسلانية على الرقم (٣) من الشذرة الرشيدية الثالثة ما نصه :

« جاء في مخصص ابن سيده صفحة ١٩ من الجزء الرابع عشر ما يلي : وأرى كيف تدخل الياء على الواو ، والواو على الياء من غير علة ، إما لمعاقبة عند القبيلة الواحدة من العرب ، وإما لافتراق القبيلتين في اللفتين ؛ فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعلة فلا حاجة بنا إلى ذكره في هذا الكتاب لأنه قانون من قوانين التصريف ، قال الأصمعي : سألت المفضل عن قول الأعشى :

لعمري لمن أمسى من القوم شاخصاً لقد نال خيصاً من غفيرة خائصا

فقلت : ما معنى خيصاً خائصاً ؟ فقال : أراه من قولهم : فلان يخوّص العطاء في بني فلان ، أي يقلله ، فكأنّ خيصاً شيء يسير ، ثم بالغ بقوله : خائصاً كما قالوا موت مائت ؛ قلت له : فقد كان يجب أن يقول : لقد نال خوصاً إذ هو من قولهم : هو يخوّص العطاء ، فقال : هو على المعاقبة ، وهي لغة لاهل الحجاز وليست بمطردة في لغتهم ، وأنا أذكر منها بحسب ما يحضرني إن شاء الله . قال ابن السكيت : أهل الحجاز يسمون الصوّاغ الصياغ ، قال : ويقولون المياثر والمواثر ، والمواثق والمياثق (وأخذ يورد من الأمثال) المثأوب والمتأيب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وشيطه وشوّطه ، وقد دوّخوا الرجل وديخوه ، وقد فاد يفود ويفيد في الموت ، وعار يعور ويعير إذا ذهب ههنا وههنا ، وغارني الرجل يغيرني ويغورني إذا أعطاك الدية ، وقد تحيزت وتحوّزت ، وتوّهت الرحل وتيهته ، وطوّحته وطيحته ، وماهت الركية تموه وقد قيل تميه وتماه ، ويقال طال طِوَلك وطال طيلك ، وضاره يضيره ، وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول : لا ينفعني ذلك ولا يضورني ، وأن فلاناً لسريع الأوبة وقوم يحوّلون الواو ياء ، فيقولون سريع الأيبة ، وتوم يقولون : لاته يليته ولغة أخرى يلوته ، إلى أن يقول :

تبوّغ الدم بصاحبه غلبه ، وفي الحديث : إذا تبيّغ الدم بصاحبه فليحتجم وما أعيج من كلامه بشيء ، وبنو أسد يقولون : ما أعوج بكلامه ، ويقال : هو من صيابة قومه وصوّابة قومه ، وثور وثورة ونيرة ، وقد تصيّح البقل إذا هاج وتصوّح ، وتصيّع ، وتصوع وأقاوم وأقايم ، وتهير الجرف وتهور ، وفاحت ريحه تفيح فيحاً وفاحت ريحه فوحاً ، والطوّع والطيع ، ويقول بعضهم : حكوت عنه الكلام أي حكيت ، وطا الماء يطمي ويطمو ، وكذلك ينمي وينمو ، ومقا الطست أي جلاها يمقوها ويمقيها ، وقد نثوت الحديث ونثيته ، وفليت رأسه بالسيف وفلوتُ ، وفأيت وفأوتُ ، وداهية دهياء ودهواء ، وغنم قنوة وقنية ، والنفاوة من كل شيء خياره ، والنفاية والنفاوة ، وعزبته إلى أبيه وبنو أسد يقولون : عزوته الى أبيه ، وحثيت عليه التراب وحثوته ، وما كان مرضياً ومرضواً ، وأهل العالية يقولون : القصوى وأهل نجد يقولون القصيا ؛ وحكى الفراء عن الكسائي : سناها الغيث يسنوها فهي مسنوءة ومسنية ، وسحوت الطين عن الارض وسحيته ، وقد أتوتُ به إتاية وأتاوة ، ورثوته ورثيته ، ورغاية اللبن ورغاوته ، ومحوت أمحو ومحيت أمحي ، وجبوت الخراج وجبيته جباوة وجباية ، وطغوتَ يا رجلُ وطغيت ، وهذوت وهذبت ، ولحوت العصا ولحيتها وطهيت اللحم وطهوته ، وقد صفوتَ وصفيت ، ولفوت ولفيت ، وعلوت وعليت وسلوت وسليت ا.ه باختصار .

ولم يذكر الفيروزابادي إلا الدعاوة بالواو ؛ ولكنه ذكر أن دعيت لغة في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دعوت ، وذكر الزبيدي فيما استدركه على القاموس دعاية الاسلام بكسر أوله وهي دعوته .

وقد أعاد الاستاذ الرشيد طبع « آخر بني سراج » في مطبعة المنار ، وهي رواية شاتوبريان المشهورة التي كان الأمير شكيب قد عربها في شباب آدابه ، فعثر السيد رشيد على بعض ألفاظ وتعابير لم يرض نسبتها إلى أمير البيان فأرسل إليه رسالة لغوية مطولة ص ٣٨٣ نقتصر منها على ما يلي ص ٣٨٥ :

« النوع الثاني ما هو من الاصل وسببه في الاكثر كثرة استعمال المعاصرين وهو قسمان : أحدهما المفردات والثاني الجمل والأساليب ، فمن المفردات قولكم : الخطر المحيق (هذه وقعت سهواً) ، والصواب في مثله الثلاثي كقوله تعالى : (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقوله : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) ويعدى حاق بالهمزة فيقال : حاق به السوء وأحاق الله به .

ويشبهها قولكم : ضجة مهولة ، وإنما يقال : هاله الأمر أو الخطب ، وفي الأساس : أمر هائل وهوّل الأمر جعله هائلا ، نعم في مجازه : مكان مهول أي فيه هول ، ولا يظهر مثله في وصف الضجة ، وإنما صححت مثل هذا مع علمي باحتجاجكم أو إمكانه بمثل « مكان مهول (١) »

ومنها قولكم : (إن هذا لنبأ عظيم) وهنا غيرتُ الموصوف فقلتُ : الخطب عظيم ، لان النبأ خاص بالكلام ، وليس المقام مقام كلام بل مقام وصف ابن سراج لأرقه وذله .

ومنها (ارتياد النعاشيب) والنعاشيب نص في مرادكم فإنها النبذ المتفرقة من العشب ، وأظن أن هذه من غلط الطبع ، وإلا فهي من سبق القلم ، والاول أرجح ، فإن الكلمة من الفرائد غير المستعملة عند ضعفاء الكتاب الذين جنوا على جهابذتهم (إنما كتبتها تعاشيب وأردت أن أحيي بها كلمة فصيحة مجهولة تقريباً عند ضعفاء الكتاب .)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثاني : الجمل والأساليب ، وما استنكرته من هذا القسم أكثر من غيره وقد كاشفتكم بشيء منه قبل الشروع في الطبع ، فعلمتم مما رجعتم إليّ من القول فيه : ان بعض ما هو قطعي عندي أو قريب من القطعي مما يترجح أو يمكن أن يكون موضع بحث وجدال طويل عندكم ، فصححتُ ما رجحت أو جزمت باستحسانكم لتصحيحه إن لم يكن لاعتقادكم بأنه خطأ أو غير فصيح فلاعتقادكم بأن بدله صحيح فصيح أو أنه أفصح ، وأذكر بعض الأمثلة على هذا القسم غير مرتبة :

(١) قولكم : (ومرت الفلك بريح طيبة) استبدلت بـه (وجرت الفلك به بريح طيبة) ووجهه أن السرى خاص بما كان في الليل ، ولا محل لهذا التخصيص ، وان ما ذكرته موافق لقوله تعالى : (وجرين بهم بريح طيبة) وقد خطر ببالي أنكم أردتم استعمال أسلوب القرآن فلم تتذكروا الآية ، وقد راجعت أستاذنا (الشيخ محمد عبده) مرة في كلمة كتبها في مقالات الإسلام والنصرانية مخالفة لاستعمال القرآن وهي صواب في نفسها ، وكانت المراجعة كتابية فكتب إليّ بأن أصححها أو أغيرها ، وعلّل ذلك بأنه لا يجب مخالفة أسلوب القرآن ولو إلى صواب ، والكلمة المذكورة « نصح له » أو « وهب له » لا أتذكر أيهما الآن .

(٢) مثل (وما هو ذلك القصر) ، وهذا مما يكثر في كلام المعاصرين وهو مأخوذ من اصطلاح المناطقة في السؤال عن ماهية الشيء ، وكلمة الماهية مشتقة منه ، وهو من اصطلاحهم وقلدهم كثيرون والضمير فيه (هو لا حاجة اليه ولا مرجع له) والمدققون من الكتاب ومصححي الانشاء في وزارة المعارف يتحاشونه ويترجمون الضمير عما يصحبون ، وفي الكتاب العزيز : (قال وما رب العالمين) .

(٣) قولك : (ولذلك فإنّ بقايا آياته) وفيه ان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها ، وان الجمع بين لام التعليل وفاء السببية لا حاجة اليه في أكثر هذه الاستعمالات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التي كثرت جداً في اسلوب المعاصرين غير المدققين ، والوجه في الجمع بينهما تقديم الفاء كأن يقال : فلذلك يقال كذا .

(٤) كلمة (فضلا عن كذا) في مقام الاثبات ، وقد تكرر في كلامكم لانه صار من الاستعمال المألوف عند العلماء منذ قرون ، ولكن المتقدمين قلما يستعملونه الا بعد النفي ، لما لهم من التخريج النحوي له مع تصريح بعضهم بأنه ليس من كلام العرب ؛ فتقدير الكلام في (فلان لا يملك درهماً فضلا عن دينار) : أنه فقد ملك درهم فقداً فاضلا وزائداً عن فقد ملك دينار الخ... ولا بد ان تكونوا اطلعتم على هذا ونسيتموه ، ولا سيما عند الاستعمال فجريتم على ما تقرأون دائما في الكتب والجرائد ، وكم وقعت أنا وغيري في مثل هذا ، ومنه قولكم في كون المسلمين أحوج من النصارى الى الماء : (لانه فضلا عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء) فبمَ تنصب كلمة فضلا هنا ؟

واستعمال (يلزمهم) هنا بمعنى يحتاجون اليه لا أعرف له أصلا في اللغة ، وإنما هو عصري حديث ، ولكن لا ادري متى كان استعماله ، ولعلكم تعرفون له اصلا فانني لم أراجع عنه باستقصاء؟

ومنه قولكم في وصف غناء أو ماء (وتجود بكل نغمة يترنح لها الجلمود فضلا عن كون الموسيقى الاسبانية في طبيعتها ما اشتملت عليه من كذا و كذا تفعل كذا و كذا) فيجوز ان تكونوا اطلعتم على تخريج يرضيكم لمثل هذا الاستعمال ، ويجوز أيضاً ان تكونوا قد اطلعتم على نص فيه لم نطلع عليه نحن ، ولا مثل أبي حيان الاندلسي الذي بحث ما لم نبحث ؛ ولكن ما أظن انه يسخطكم تغيير هذا الاستعمال أنا وأمثالي بما لا تنكرونه بدليل انكم قرأتموه ولم تعدوه خطأ ، على أني لا اتذكر أني غيرت هذا الاستعمال في كل مكان ، وإنما عرفت هذين الموضعين لانهما مما كنت وضعت عليه علامات الاستنكار .

(٥) يقرب من هذا الاستعمال مثال قولكم : (ولكن كأني بهذا الطريق بدلا عن أن يزداد بهم حركة وأنساً ازداد وحشة ووحدة) وقولكم (ولكن وا أسفاه بدلا من قرع الطبول لم يكن حول ابن حامد إلا السكوت التام)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيقف الذهن هنا في (بدلا) المنصوبة حتى يجيء ما بعدها فيلتمس لها ناصباً بالتقدير في الكلام ، وبتأخيرها معما يتعلق بها يزول هذا التعقيد ، ومن الخطأ في الجملة الاولى وضع (عن) مكان (من) والمنقول (بدل منه) كما في الجملة الثانية ، وربما كانت الاولى من غلط الطبع ، والمعاصرون يستعملونها .

(٦) ومثله فيما تقدم وحقه التأخير قولكم (وأسلحته تزيد رونقا وجلالا صباحةَ وجهه) فصباحة وجهه مفعول أول ، ورونق مفعول ثان ، وتقديمه خلاف الاصل ، فلا ينبغي الا لضرورة شعر او نكتة من نكت المعاني ، وانا أعتقد انك اذا لم توافقني الان على هذا فعلّته انك ألفت قراءة هذه الرواية لانها من أوائل ترجمتك ، بل أعتقد انك لولا هذه الالفة لصححت منها عند قراءتها الاخيرة الفاظاً وجملاً كثيرة مما لا تراك تستعمله الان ، واعيد التذكير بأن المراد تصحيح ما ينافي الفصاحة والبلاغة لا ما ينافي قواعد الاعراب ومفردات اللغة فقط .

(٧) قولك (ثم تحفزا وتوائبا الواحد على الآخر) ولا يغرب عنك ان معنى توائبا وثب احدهما على الآخر ، فلا حاجة معها الى قولك : الواحد على الاخر .

(٨) ومثله (وصاروا يتظاهرون بعضهم على بعض) وهو ما يسمونه لغة البراغيث والفصيح يتظاهر بعضهم على بعض .

(٩) وأبعد منها عن الفصاحة بل عن الصواب قولك : (وبقيت سرايا الفريقين تتردد الى غزو بعضها بعضاً ، فانه من عدوى الجرائد وامثالها من مكتوبات المعاصرين التي لا تقبلها لغة البراغيث ويتجنبها من دونك من الكتاب المتأنقين .

(١٠) وأتذكر ان مما تكرر وهو لا يرضيك الان مثل (نحو ثلاثمائة) باضافة نحو الى العدد ، والمنقول عن الفصحاء (نحو من كذا) فان وجد نقل للاول فلا اذكره ولا أجد وقتاً للمراجعة الطويلة وحسبي من القصيرة اقتصار أساس البلاغة على قوله : وعنده نحو من مائة رجل .

(١١) قولك : وكانت المقبرة عبارة عن روضة معروشة من النارنج والسرو والنخيل ، كلمة (عبارة) خاصة بالكلام ، واستعملها كثير من علمائنا في تفسير بعض الكلم أو تعريف بعض الاصطلاحات اللفظية ، وأنكر هذا بعض اخواننا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من نظار المدارس في احدى جلسات المجمع اللغوي فصوبت كلامه في مثل هذا الاستعمال الذي يكثر في الجرائد وأمثالها فقط ، وفي العبارة ايضاً ان المعروش من الشجر والنجم ما كان كالدوالي ، وغير المعروش ما كان كالسرو والنخيل، وهو ما حققناه في تفسير « جنات معروشات وغير معروشات »

(١٢) قولك : (ان يصلح ذات البين بين الفرسان) الوجه ان يقال : ذات بين بين الفرسان بالاضافة فقط كما قال تعالى :« واصلحوا ذات بينكم » .

(١٣) قولك في حث البغال وزجرها : (بأن يناديها تارة يا جيدة يا ضربعة ، او ان يزجرها طوراً بقوله عدس ، لا حاجة هنا (لأو) ولا (لأن) فالمقام مقام الواو وحدها .

هذا بعض ما بذلت من الاجتهاد في تصحيح كتاب أجل اصدقائي فضلاً وادبا ووطنية وخدمة للامة من طريق المساعي السياسية ونفثات اليراع، الى ان يقول : وما جربت معك في هذا الا على الطريقة التي استقمت عليها في معاملة شيخنا الاستاذ الامام في عهده وبعد عهده ، فقد كنت اراجعه في حالة القرب بما أرى انه يحتاج الى اصلاح لفظي او معنوي من كلامه فيسر بذلك جد السرور ويعمل به ، وكنت اصحح في حالة البعد ما أقطع بأن تغييره اولى ، وقد علقت على رسالة التوحيد حواشي لا تخلو من تخطئة الاصل ، وقد اذن لي بتصحيح خطابه الذي ألقاه في تونس بعد ان طبع فيها مصححاً بقلمه ، ولم يبال ان يرى علماء تونس وادباؤها ان ما طبع في المنار اصح مما طبع عندهم ، فقد كانت هذه المعاملة من استاذنا الاكبر في الانشاء وعلوم البلاغة سببا في تمكن تلك العادة التي اشار اليها سيدي الامير ، واعترفنا له مع ذلك بالحق فيما انتقده منها ...

هذا بعض ما جاء في هذه الرسالة اللغوية الطويلة ، وقد راجع الأمير صديقه الرشيد في كثير من تصحيحاته ، منها لفظة مهول فقد علق عليها بقوله : « كلا لم نجز لفظة مهول لأجل قولهم مكان مهول ، بل لورود مهول في الكلام العربي . جاء في لسان العرب : وهول هائل ومهول ، وكرهها بعضهم وقد جاء في الشعر الفصيح وقال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومهول من المناهل وحش ذي عرافين آجن مدفان

وتفسير المهول أي فيه هول ، والعرب إذا كان الشيء « مُهولة » أخرجوه على فاعل مثل دارع ذي الدرع ، وإن كان فيه أو عليه أخرجوه على مفعول كقولك مجنون فيه ذاك ومدبون عليه ذاك اه وقد قال بديع الزمان الهمذاني لأبي بكر الخوارزمي في المناقشة التي جرت بينهما مرتجلاً :

أراك على شفا خطر مهول بما أودعت لفظك من فضول

وبديع الزمان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه

وناقشه الأمير في عبارة (وما هو ذلك القصر) بقوله : لا شك أن القاعدة هي ما قال ، ولكن ليس بخطأ أن يقال « ما هو ذلك القصر » وما في ضربه ، وقد ورد كثيراً في كلامهم وذكر سيبويه أن هذه الضمائر : أنت وأنا ونحن وهو وهي وهم وهن وأنتن وهما وأنتما وأنتم تأتي وصفاً للمضمر المجرور والمنصوب والمرفوع وذلك قولك مررت بك أنت ورأيتك أنت وانطلقت أنت ، وليس وصفاً بمنزلة الطويل إذا قلت مررت بزيد الطويل ، ولكنه بمنزلة نفسه إذا قلت مررت به نفسه وأتاني هو نفسه ورأيته هو نفسه ، وإنما تريد بهن ما تريد بالنفس إذا قلت مررت به هو (إلى أن يقول) : واعلم أن هذا المضمر يجوز أن يكون بدلاً من المظهر وليس بمنزلته في أن يكون وصفاً له لأن الوصف تابع للاسم مثل قولك رأيت عبد الله أبا زيد ، فأما البدل فمنفرد كأنك قلت زيداً رأيت أو رأيت زيداً ثم قلت إياه رأيت وكذا أنت وهو وأخواتها في الرفع . وأورد سيبويه قوله تعالى « ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » وقال : صارت « هو » هنا بمنزلة ما إذا كانت لغواً في أنها لا تغير ما بعدها عن حاله قبل أن تذكر ، واعلم أنها تكون في إن وأخواتها فصلاً وفي الابتداء ولكن ما بعدها مرفوع لأنه مرفوع قبل أن تذكر الفصل (قال) : واعلم أن « هو لا يحسن أن تكون مفصلاً حتى يكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة مما طال ولم تدخله الألف واللام (قال) : وقد جعل ناس كثير من العرب « هو » وأخواتها في هذا الباب اسماً مبتدأ وما بعده مبني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه ، فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول أظن زيداً هو خير منك وناس كثير من العرب يقولون (وما ظلمناهم ولكن هم كانوا الظالمون) وكان أبو عمرو يقول : إن كان لهو العاقل ، ثم يقول سيبويه إن « هو وأخواتها » يكون بمنزلة اسم مبتدأ وذلك قولك ما أظن أحد خير منك وما أجعل رجلاً هو أكرم منك ، فلم يجعلوه فصلاً وقبله نكرة كما أنه لا يكون وصفاً ولا بدلاً لنكرة وكما أن كلهم وأجمعين لا يكرران على نكرة فاستثقلوا أن يجعلوها فصلاً في النكرة كما جعلوها في المعرفة لأنها معرفة فلم تصر فصلاً إذاً لمعرفة كما لم تكن وصفاً ولا بدلاً إلا لمعرفة اه

وقد جاء في مغني اللبيب لابن هشام أن « ما » نكرة متضمنة معنى الحرف وأن « ما » الاستفهامية معناها أي شيء نحو : ما هي ؟ ما لونها ؟ وما تلك بيمينك ؟ قال مومى : ما جئتم به السحر وذلك على قراءة أبي عمر وآلسحر بمد الألف فما مبتدأ والجملة بعدها خبر ، وآلسحر إما بدل من ما ولها قرن بالاستفهام وكأنه قيل آلسحر جئتم به ، وإما تقدير أهو السحر أو السحر هو ، ويقويه قراءة عبد الله ما جئتم به سحر ؛ إذاً لو قيل ما هو السحر مثلاً « فما » مبتدأ والجملة بعدها خبر والسحر بدل من ما ، وقد سألت عن هذا الاعتراض العلامة السيد تقي الدين الهلالي السجلماسي فاستغرب وقال لا أظن أن السيد رشيداً يمنع جوازه كما أنه لم يتبين لي أن الجملة منافية للبلاغة وقال : ما هو ذلك القصر . الضمير يعود على القصر وإن كان متقدماً لفظاً فهو متأخر رتبة لأن « ذلك » مبتدأ والقصر بدل وجملة « ما هو » خبر ووجب تقديمها من أجل ما الاستفهامية .

وأما إنكار السيد رشيد على الأمير قوله (ولذلك فإن بقايا آبائه) بحجة أن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وأن الجمع بين لام التعليل وفاء السببية لا حاجة اليه وأن الوجه تقديم الفاء كأن يقال : فلذلك كان كذا ، فقد رده الأمير مستدلاً على صحة قوله ص ٣٩٠ بما نصه : « إن هذا الاستعمال وارد من القديم حتى في كلام سيبويه نفسه ففي الكتاب صفحة ٣٩٠ من الجزء الأول يقول : فعلى هذا فأجر ذا الباب . وفي الجزء الأول أيضاً صفحة ١٨٩ : فعلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا فقس المعرفة . وفي الجزء الثاني صفحة ٩٧ : فكذلك فقس هذه الأشياء ، وفي صفحة ١٦٧ : فعلى هذا فقس هذا النحو ، ومثله ما لا يحصى في كلام أئمة اللغة قديماً وحديثاً ، وابن هشام وهو من هو في النحو يقول في الصفحة الخامسة من الجزء الثاني من مغني اللبيب الذي عليه حاشية الأمير : وعلى هذا فلا يصح استئناف ما الخ ... وقال في الآية الكريمة « وما بكم من نعمة فمن الله » الأرجح أنها موصولة وأن الفاء داخلة على الخبر لا شرطية والفاء داخلة على الجواب اه ، وقال الله تعالى : (والذين كفروا فتعساً لهم) .

وأنكر رحمه الله على الأمير استعماله في مقام الإثبات (فضلاً عن كذا) فرد إنكاره بقوله : إن استعمال (فضلاً عن كذا) بمعنى زيادة عن كذا مستفيض في كلام المؤلفين والكتاب من زمن قديم كما يعلمه كل من تتبع كلام القوم ، وإن كنا لم نعرف متى بدأ هذا الاستعمال ؟ وقول ابي حيان الاندلسي انه ليس من كلام العرب لا يدل على عدم جوازه لاننا لو تقصنا كلام المؤلفين من بعد الاسلام الى اليوم لوجدنا فيه ما لا يحصى من الاستعمالات التي لم يكن يعرفها العرب ليس في الامور العلمية والفنية والمواضيع الفلسفية فحسب بل في الامور المعتادة الاجتماعية ايضاً ، فقد استعمل العرب بعد الاسلام جملا وألفاظاً لا يأخذها الاحصاء ، لو نشر عرب الجاهلية والقيت على أسماعهم لم يفهموها ولا عرفوا المراد منها حتى انهم قالوا ان بدوياً سئل عن القلم فلم يفهم معناه فقيل له : ماذا تتصور من كلمة القلم ؟ فقال : أتصور انه شيء يقطع أو يقلم ولا أقدر أن أفهم شيئاً وراء ذلك . وبقي العرب بعد الاسلام بكثير يتحامون كثيراً من الاصطلاحات قال سيبويه في باب الجموع : إعلم انه ليس كل مصدر يجمع كالاشغال والعقول والحلوم والالباب ألا ترى انك لا تجمع الفكر والعلم والنظر اه . فتأمل الآن لغة عربية لا يجوز فيها جمع العلم والفكر والنظر ... والحال انه لا يكاد الكاتب ينمق بضعة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسطار حتى يضطر الى ذكر العلوم والافكار والانظار وهي مستفيضة في النظم والنثر فقولهم (فضلا عن هذا) زيادة على هذا لان الفضل هو زيادة، وقد رأيت في بعض كتب المتقدمين قوله : فضلا عن كذا وزائداً على كذا . نعم ان اكثر استعمال فضلا عن كذا يجيء بعد نفي ، ولكن قولهم ان ذلك في الاكثر صريح بأنه قد يجيء ايضاً بعد ايجاب ، والسيد رشيد رحمه الله قبل ان كتب الينا هذا الاعتراض قرأ ما جاء في « المصباح » فانه يقول : لا يملك درهما فضلا عن دينار وشبهه معناه لا يملك درهماً ولا ديناراً وعدم ملكه للدينار أولى بالانتفاء وكأنه قال لا يملك درهما فكيف يملك ديناراً وانتصابه على المصدر والتقدير فقد ملك درهم فقداً يفضل عن فقد دينار . وقال قطب الدين الشيرازي في شرح المفتاح : إعلم ان فضلا يستعمل في موضع يستبعد فيه الادنى ويراد به استحالة ما فوقه ولهذا يقع بين كلامين متغايري المعنى وأكثر استعماله ان يجيء بعد نفي . وقال شيخنا ابو حيان الاندلسي نزيل مصر المحروسة أبقاه الله تعالى : ولم أظفر بنص على ان هذا التركيب من كلام العرب وبسط القول في هذه المسألة وهو قريب مما تقدم . اه .

وقد نقل الزبيدي في شرح القاموس ما ورد في المصباح عن قضية (فضلا عنه) أما سؤال الاستاذ عن اعراب فضلا في قولي (لانه فضلا عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء) فأجيب بأنه منصوب على المصدر مثل قولهم لا يملك درهماً فضلا عن دينار ، وتخريجه ان الماء يلزم المسلمين لاجل الوضوء لزوماً فاضلا عن لزومه للشرب . أما استعمال (يلزمه) (ويلزم له) فهو ايضاً مستفيض اكثر من استفاضة الاول ، ومعنى لزم ثبت ودام وكأنهم لحظوا ان ما يحتاج اليه الانسان بصورة دائمة يعد من الامور اللازمة أي التي يحتاج اليها الانسان لزاماً فصار هذا الاصطلاح يفيد معنى الاحتياج ولو لم يكن كذلك في الاصل . وقد سألت العلامة السيد تقي الدين الهلالي المتقدم الذكر عن جملة : (لانه فضلا عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء) فأجاب : الذي يظهر لي أن هذا جائز وان نصبه على المفعولية المطلقة كما ذكرتم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سائغ (قال) وبدا لي وجه آخر في نصبه وهو أن يكون حالا بمعنى فاضلا من فاعل يلزم وتقديم الحال جائز . قال ابن مالك :

والحال ان ينصب لفعل صرفا أو صفة اشبهت المصرّفا

فجائز تقديمه وهو هنا كذلك فان (يلزم) فعل متصرف ؛ واما كون المصدر حالا فكثير قال ابن مالك :

ومصدر منكر حالا يقع بكثرة كبغتة زيد طلع

وفي ذلك خلاف معروف .

وراجع الامير في استعماله مثل (نحو ثلاثمائة) باضافة نحو الى العدد لان المنقول عن الفصحاء (نحو من كذا) ، فأجابه الامير بما يلي : متفق على ان الافصح ان يقال « نحو من كذا » ولكن ليس بغلط إن قيل نحو كذا وقد رأيت هذا الاستعمال في كتاب سيبويه وليس مرة واحدة فقد جاء في الجزء الثاني صفحة ٢٣٥ من طبعة الكتاب في باريز ما يلي : وقالوا نظير كما قالوا وسيم فبنوه بناء ما هو نحوه في المعنى . وجاء في صفحة ٢٣٦ من الجزء الثاني : وما كان من الصغر والكبر فهو نحو من هذا وجاء في صفحة ٣٣٥ : وقالوا ضخم ولم يقولوا ضخيم كما قالوا عظيم ثم قال في الصفحة التي تليها : وقد يبنون الاسم على فعل وذلك نحو ضخم وفخم وعبل وجهم اه ، ثم يقول : فهذا يدلك على انه نحو الطويل والقصير ، إذاً يجوز الوجهان ووضع (من) بعد (نحو) هو أولى . وسألت صاحبنا السيد الهلالي وهو الغاية البعيدة في النحو واللغة عن هذه المسألة فقال لي : نعم الافصح العربي الخالص (نحو من ثلاثمائة) ، واما المؤلفون من عهد سيبويه الى الان والشعراء فانهم اكثروا من ذلك ، والنحو من معانيه المثل كما هنا فلا إشكال في جوازه . اه .

وسألته أيضاً عن بقية اعتراضات السيد رشيد رحمه الله فقال : (بدلا من قرع الطبول الخ) يظهر لي ان السيد إنما اعترض هنا من جهة البلاغة وكان يدقق فيها كثيراً ، واما الجواز فلا أراه ينكره وأمر ذلك سهل إذ لا يخلو انسان ان يوجد في كلامه خلاف الاولى من جهة البلاغة . (قال) : واسلحته تزيد رونقاً وجلالاً صباحة وجهه) هذا الاعتراض ايضا من جهة البلاغة بلا شك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويظهر لي أن الصواب فيه مع السيد رشيد لأن ركاكته بادية ولست أمنعه وما أجبتم به فيه أن استجلاب الفكر لصباحة الوجه أهم وأولى . (قال) : « وبقيت سرايا الفريقين تتردد إلى غزو بعضها بعضاً » جائز وليس هو من لغة الجرائد لأن لغة الجرائد ولغة عامة مصر أن يقال مثلاً : « وبقيت السرايا تتردد على غزو بعضهـا » نعم لا تخلو تلك العبارة من ركة ولو قيل : « وبقيت السرايا يغزو بعضها بعضها » كما قال تعالى : (وتركنا بعضهم يموج في بعض) لكان أولى اه .

وقد ختم الامير هذه المناقشات بقوله : تقدم لنا كلام في أننا ترجمنا هذا الكلام ترجمةً عن الإفرنسية من أربعين سنة وراعينا فيه الترجمة الحرفية .

ويعثر قارئ السيرة الرشيدية في غير حواشي الرسائل على فوائد لغوية يحسن بنا نشرها إتماماً لهذه الطرائف المجتمعة ، منها ما جاء في ترجمة السيد رشيد رضا لنفسه وفيهـا ألفاظ عامية يرويها السيد على سبيل الحكاية كلفظة (تعبان) ص ٢٧ ، قال الأمير معلقاً عليها ما نصه :

روى الأستاذ هنا لفظة (تعبان) على الحكاية ، والا ففي الصحيح لا يقال تعبان ، بل هو تعِب ومُتعب على وزن كتف ومكرم ؛ وعلق على لفظة « البخشيش » التركية أنها مصدر « بخش ايتمك » أي أعطى ، ومقابلها في العربي « الحلوان » أو ما يعطى للخادم « النُّحل » والنحلان بالضم ، وتأمل هنا أيضاً مشرب الشيخ رشيد رحمه الله في نقل الأخبار على علاتها .

وعلق الأمير على لفظة (صادرت) الواردة في كلام السيد ما نصه :

جاء في لسان العرب : ومن كلام كتّاب الدواوين أن يقال : صودر فلان العامل على مال يؤديه أي فورق على مال ضمنه . وهكذا نقل ذلك صاحب « أقرب الموارد » بلفظ « فورق » ولكن هذه العبارة نفسها منقولة في التاج بلفظ « قورق » بالقاف أولاً وهي في التاج غلط طبع أو نسخ إذ لا معنى « لقورق » هنا ؛ وأما « فورق » فهو للمجهول من فارقه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من حسابه على كذا إذا قطع الأمر بينه وبينه على امر وقع عليه اتفاقهما ومثله صادره على كذا ، وكله مولد ليس من كلام العرب الأولى . وقد جاء في تاريخ الوزراء تأليف أبي الحسن الهلال المحسن بن إبراهيم الصابي الكاتب المتوفى للسنة الثامنة والأربعين بعد الأربعمائة قوله في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات : « وصودر على مائة وعشرين ألف دينار وصح منها ستون فجيء به من محبسه الخ . . . وقوله عن لسان الخليفة المعتضد في ابن الفرات أبي الحسن وأخيه أبي العباس : أسأنا اليهما وصادرناهما . وقوله في موضع آخر : وسلم اليه علي بن عيسى ومحمد بن عبدون فاعتقلهما في دار بدر اللاني وقرر عليهما مصادرة خففها عن علي بن عيسى وثقلها على محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما ، وهكذا هذه اللفظة تدور كثيراً في أخبار دهوان الخلافة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net